اختلفت آراء الدارسين حول تقسيم المراحل التي مر بها البحث في العقيدة الإسلامية فمنهم من قسمها إلى مراحل تاريخية تبدأ ثم العصر الأموى فالعباسي وما بعده ، ومنهم من نظر إلى التطور الذي حدث في الأفكار والمناهج وهناك خلاف بين هؤلاء وأولئك في تحديد تواريخ بعينها فاصلة بين مرحلة وأخرى . الصعب وضع تواريخ فاصلة في تطور الأفكار ونموها وميلادها ، ولكن مما لا خلاف فيه أن الأبحاث حول العقيدة الإسلامية بدأت خلال النصف الثاني من القرن الأول للهجرة ، وواكبت ما جد على الأمة من عوامل وتحولات وفترات صحوة وانحدار ، تسهيلاً على الدارس أن نقسم هذه المراحل إلى مرحلة النشأة ، وطور تكون المذاهب وظهور الفرق ، وطور الجمود والانغلاق، واكبت الدعوة إلى صحوة الأمة في شتى المجالات طور النشأة : امتدت هذه الفترة خلال قرن كامل ابتدأ من منتصف القرن الأول، وشمل النصف الأول من القرن الثاني للهجرة ، وخلال هذه الفترة برزت بعض المشكلات العقائدية التي أدت إلى تفرق المسلمين واحتدام الحوار والجدل بينهم ، مشكلة مرتكب الكبيرة والحكم عليه ، والتي ظهرت نتيجة لموقف الخوارج المتطرف وحكمهم على أصحاب الذنوب بالكفر ، عرفوا بالمرجئة، الذين ذهبوا إلى أن ارتكاب الكبائر من المعاصي لا تضر مع الإيمان ، وسعى المعتزلة فيما بعد إلى اتخاذ موقف وسط يجعل مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين: (منزلة الكفر والإيمان). الفرق جميعا، ما لم يجدد أصلاً معلوماً كونه من الدين بالضرورة ، أو تناله الشفاعة، ولكن دون خلود في النار ، مسألة القضاء والقدر وأفعال الإنسان، وغيره من القدرية، الذين قالوا بنفي العلم الإلهي القديم، والتقدير الإلهي السابق خشية القول بالجبر ، بينما نزعت طوائف إلى الجبر وتأكيد القدر الإلهي وربما تطرف بعض هؤلاء فقال : إن الإنسان كالريشة في مهب الريح لا فعل له ولا قدرة ، واتخذ آخرون ذلك مسوغاً لارتكابهم المعاصي وفعل الموبقات . فقد ورد أن رجلاً قال لابن عمر (ت: ٧٣ هـ) ، ظهر في زماننا رجال يزنون ويشربون الخمر ويقتلون النفس التي حرم الله ثم يحتجون علينا ويقولون كان ذلك في علم الله فغضب ابن عمر وقال : سبحان الله كان ذلك في علم الله ، وغيلان الدمشقي، وكان ينكر عليهم من كان بقي من وأنس (ت: ٩٣ ه)، ولا يصلوا عليهم إذا ماتوا. كما أثيرت أيضاً مسألتا خلق القرآن والصفات الإلهية اللتان آثارهما الجعد بن درهم (قتل: يقول ابن تيمية : أول من حفظت عنه مقالة التعطيل في الإسلام هو الجعد بن درهم ، ورغم أن قضية الإمامة كانت مدار مباحث الإيمان والكفر ، فإنها لم تصبح قضية عقدية إلا في وقت لاحق على يد الشيعة ومن خالفهم الرأي الخامس ، ففي طور النشأة وضعت بذور مذهب المعتزلة وأصول الحركة الكلامية فمبدأ شيوع الكلام ـ كما يقول طاش كبرى وولادته سنة ٨٠ه، فيصير زمن طلبه العلم وقدرته على الاجتهاد في حدود المائة تقريباً ، وكان واصل بن عطاء أول من أظهر الاعتزال وأشاعه . العصر الذهبي لتدوين العلوم ، حيث الفت الرسائل في العقيدة لا سيما من قبل المتكلمين المعتزلة ، وانتشر مذهب المعتزلة وراج منهجهم وساد بين المذاهب الكلامية. وأصبح المعتزلى يعرف بقوله بالأصول الخمسة ـ كما يقول الخياط المعتزلي) ت: ٥٢٩٠) : فلسنا ندفع أن يكون بشر كثير يوافقونا في العدل ويقولون بالتشبيه ، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، في الإنسان هذه الخصال فهو معتزلي. وقاموا بدور هام في الدفاع عن العقيدة الإسلامية توضيحاً وإثباتا، وكان لهم الفضل في نقض المذاهب والأديان، المسائل وغلوهم فيها. وقد تكونت أصول المعتزلة الخمسة من خلال ردودهم على مقولات خصومهم من أصحاب تلك المذاهب وعلى الثنوية، واثبتوا الله زاعمين أن الأول هو (الله) الأب) ، والثاني هو المسيح أو الابن) والثالث هو (روح القدس)، وشجعوا القول بقدمه، التشبيه والتجسيم، تأثرت بالديانة اليهودية، ضد هؤلاء جميعا قرر المعتزلة أصلهم الأول في التوحيد مؤكدين تنزيه الله المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله . ضد الجبرية الذين نسبوا أفعالهم جميعها بما فيها من معاص وأنام إلى الله تعالى ، النبوات عموماً ، وجادلوا اليهود والنصارى حول نبوة محمد . وهكذا ساد مذهب المعتزلة وأصبحت له السيادة لأكثر من قرن، وإبراهيم النظام (ت: (٢٣١هـ)، وأبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت : ٢٥٥هـ)، وأبو علي الجبائي) ت: ٣٠٣هـ)، وابنه أبو هاشم (ت: ٣٢١هـ) (١) ، ولعل ذلك يعود إلى أسباب من أهمها : ـ اتخاذهم القوة وسيلة لفرض آرائهم الدينية ووجهات نظرهم الفكرية . لجوؤهم إلى اضطهاد مخالفيهم في المعتقد والفكر (٢) . ذهاب مناصيرهم من الخلفاء كالمأمون، وقد أثار المعتزلة بمنهجهم العقلاني ، وأفكارهم الغالية العديد من علماء أهل السنة الذين تصدوا للرد عليهم مبينين العقيدة الصحيحة مفندين انحرافاتهم ، ومن الكتب التي ألفت للرد على المعتزلة : وكتاب الحيدة، العبد العزيز المكي ت : ٢٤٠هـ) وهو عبارة عن مناظرة جرت بينه وبين بشر المريسي) ٢١٨ (أو (٢٢٨هـ) في مجلس الخليفة المامون (ت: ٨٣٣/٢١٨م) ، لأبي عبد الله بن اسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ) ، الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة، والرد على بشر المريسي لعثمان بن سعيد الدارمي) ت: ٢٦٠) أو (٢٨٠ هـ) ، وخلق أفعال العباد (للبخاري) . ورغم انحسار فكر المعتزلة وأقول نجمهم ، بكتابه شرح الأصول الخمسة وبموسوعته المغني في أبواب

Summarized by © lakhasly.com

التوحيد والعدل . وفرقة الإباضية . ولذا فمن الخطأ الجسيم سواء من ناحية التاريخ الديني أو التاريخ الأدبي ، العقائد الأشعرية ، وعند الشيعة مؤلفات اعتقادية كثيرة يرجعون إليها وينسجون على منوالها ، وتفنده ، المتأخرة، الذي كان من المعتزلة وبلغ درجة عالية في الاعتزال، واتخذ منهجاً وسطاً في القضايا التي أثاروها، كما قالت المعتزلة، وفي مسألة كلام الله فرق وقال بقدمه ، حادثة من حيث أنها مقرؤة مكتوبة ، وقديمة من حيث دلالتها على الكلام القديم. بالكسب، وقرر أن افعال الإنسان مخلوقة ومبدعة الله ومكتسبة للإنسان وواقعة عند قدرته ، وهذه القدرة الحادثة المصاحبة للفعل لا أثر لها في إيجاد الفعل ، لأن الله هو المتفرد بالخلق والتأثير في العالم . و بعد الأشعري تكونت مدرسة تحمل هذه الأفكار انتسبت إليه وسميت بالأشاعرة (1) . ثم تلت مرحلة أخرى في تاريخ المدرسة، بدأت بابن فورك الأصفهاني) ت : ٤٠٦ هـ) وانتهت بالشهرستاني) ت : (٥٤٨هـ) وفي هذه الفترة ظهر الجويني) ٤٧٨-٤١٩هـ) والغزالي ، وأسرفوا في التأويل، عن الساحة، والأيوبيين في مصر، للمذهب ومناصرتهم له (1) . الماتريدية، التي تعتبر في أصولها امتداداً لمدرسة الأحناف. شهدت هذه الفترة نضج علم العقيدة، كما يقول النجار، هو أهم أطوار علم العقيدة سواء في ثراء مادته ومنهجه ، عنها (٣) . ورغم الشهرة التي نالتها المدرسة الأشعرية، والمكانة التي احتلتها في العالم الاسلامي ، فقد واجهت المدرسة مقاومة من قبل أهل الحديث والحنابلة بصفة خاصة، الذين حاربوا علم الكلام، ما كتبه أبو إسماعيل الأنصاري الهروي (ت: ٤٨١هـ) في كتابه الشهير "تم الكلام وأهله . مرحلة اختلاط ابحاث العقيدة بالفلسفة : في هذه الفترة التي امتدت من القرن السادس إلى القرن التاسع الهجري ، وفي البحوث الطبيعية، وسعى علماء العقيدة (المتكلمون من خلال تبني الفكر الفلسفي ومنهجهم إلى دعم مواقفهم الكلامية (العقائدية) ببعض أفكار الفلاسفة ، والرد على ما تضمنته الفلسفة من آراء مخالفة للعقيدة الإسلامية ، والآمدي، اللذين توزعت في كتبهما موضوعات الكلام (العقيدة)، متأثرة بتلك النظريات الفلسفية، فبدأت بأبواب فيما يعرف وتمثلت هذه الطريقة بصورة واضحة لدى "الإيجي "، الذي أوقف على تلك المقدمات في المعرفة وما يتصل بها، ما يقرب من نصف كتابه "المواقف"، حيث خصص المواقف الأربعة الأولى لمواضيع فلسفية، مع التعرض لآراء الفلاسفة فيهما . وقد أدى هذا إلى غلبة أسلوب الفلسفة التقريري الشرحي على أسلوب الكلام الجدلي الدفاعي، فجمد بذلك علم الكلام وعقمت مباحثه. وقد أشار ابن خلدون إلى بعض مظاهر هذه المرحلة من مراحل تطور دراسات العقيدة فقال: "ولقد اختلطت الطريقتان طريقة الكلام وطريقة الفلسفة عند هؤلاء المتأخرين (من المتكلمين)، من كتبهم، ومن جاء بعده من علماء العجم في جميع تأليفهم، ضدها ، تحفل بهم الخاصة، وذهب الزمان بما كان ينتظر العالم الإسلامي من سعيهم، ووقف عن التقدم. الإسلامي، ومن أبرز علماء والمتاخرين. وعضد الدين الإيجي) ت: ٧٠٦هـ) وكتابه المواقف في علم الكلام ، وشرحه للسيد الشريف الجرجاني) ت: ٨١٦هـ) . الدين ابن الهمام (ت: (٥٨٦١)، " وقد تميزت وترتيب مسائلها، وقد عاصر هؤلاء أعلام من مناصري المذهب السلفي كابن قدامة المقدسي) ت٦٢٠: هـ)، وقد قاوم هؤلاء جميعاً وتبعهم فيه الشيعة، وتأثر به متأخر و الاشاعرة ، واشتدت مقاومتهم لهؤلاء الأخيرين الذين الذي ظهر بالشام، وناهض مناهج الفلاسفة والمتكلمين ، ووجه سهام نقده إلى الرافضة والفلاسفة وغلاة الصوفية ، ودعا إلى العودة بدراسة العقيدة، وفقاً لمنهج السلف وأخذها من الكتاب والسنة، واستنباط أدلتها من النصوص الشرعية والمعارف الفطرية والحقائق العلمية ، رافضاً بذلك منهج الفلاسفة والمعتزلة، وتقديمها على حقائق القرآن وأدلته اليقينية ، لاستعانتهم مع الأدلة القرآنية بأدلة عقلية ضعيفة (١). طور الجمود والتقليد : بعد غلبة دخلت دراسات العقيدة فيما أطلق عليه بعض الدارسين مرحلة الجمود والتقوقع، واكتفي علماء العقيدة بما ألفه أسلافهم، دون إضافة تذكر لا في الموضوع ولا في المنهج ، بينما ظلت المواضيع هي بذاتها فلم تظهر قضايا جديدة وتوقف العلم عن النمو وظهر من رجال هذه الفترة أصحاب الحواشي والشروح من أمثال ميرزا خان ، والسيالكوتي ، وساد الكلام الأشعري فيصورته المتأخرة أنحاء العالم الإسلامي، لا سيما مصر وأفريقيا والعالم العربي ، بينما سادت الماتريدية في تركيا وشبه القارة الهندية. وغلب في التأليف المتون التي صيغت فيها المعتقدات في صور مركزة تيسيرا لحفظها، كما هو الحال في جوهرة التوحيد للشيخ إبراهيم اللقاني) ت ١٠٤١هـ) والتي يقول فيها : فكل من كلف شرعاً وجبا الله والجائز والممتنعا جوهرة التوحيد قد هذبتها عليه أن يعرف ما قد وجبا ومثل ذا لرسله فاستمعا هي الوجوب ثم الاستحالة فافهم منحت لذة الإفهام وانتشرت في بعض تلك المؤلفات الأساطير والخرافات والحشو والاهتمام بالقشور دون اللباب ، ويكفي أن نشير إلى ما أورده الشيخ إبراهيم الباجوري (١١٩٨ـ١٢٨٨هـ ، ١٧٨٤ ـ ١٨٦٠م) في شرحه في وصف بعضهم للعرش إذ يقول : " جسم نوراني علوي عظيم من نور، هو قبة فوق العالم، ذات أعمدة أربعة، وثمانية في الآخرة لزيادة الجلال والعظمة ، ورؤوسهم عند الأرض السفلي ، وما نسب إلى آخرين عن رقيب وعتيد ومايكتبان من أعمال : " T يالعرش في السماء السابعة، وأقدامهم ف

Summarized by © lakhasly.com

يكتب الرقيب والعتيد أعمال الإنسان وأقواله من خير وشر ومباح . يوهي الإثنين والخميس من كل أسبوع فتلتقمه حيتان البحر فتموت منه لنتنه فيخرج منه دود الزرع الى غير ذلك من الآراء التي لا ولا سند لها من الشرع ولافائدة من نشرها على العامة أو الخاصة بل تعكس إلى حد كبير ، حالة التردي العلمي والفكري التي آلت اليها الأمة في هذه الفترة من الزمان. وخلال هذه الفترة الحالكة ظهر في الجزيرة العربية الشيخ محمد فركز على قضية التوحيد ونواقضه وأنواع الشرك والنفاق والكفر والابتداع في وبشر بالعودة بالمسلمين إلى ما كان عليه السلف الصالح من تمسك بأهداب الدين وتحكيم القرآن والسنة في جميع شئونهم ، وذلك من خلال تصفية العقيدة وتنقيتها من الشوائب والشبهات . وقد أحدثت حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بل امتدت آثاره لتشمل أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي ، ، فظهرت العديد من الدعوات والحركات الإصلاحية حملت لواء السعي إلى تصحيح الاعتقاد ، والحركة السنوسية في شمال أفريقيا والحركة المهدية في السودان ، وغيرها من حركات الإصلاح في الهند ونيجريا ووسط آسيا وشرقها . واقع الدراسات العقدية المعاصرة : إن الدراسات المعاصرة في مجال العقيدة تقوم على نوع من التنافس بين المذاهب الكلامية، ممثلة في مذهبي الأشاعرة والماتريدية ولها أتباع هنا وهناك ، وتكاد مناهج الجامعات الدينية والمعاهد العليا والأبحاث والمؤلفات في العقيدة، أن تكون موزعة بين هذين التيارين . ففي الدوائر التي يسود فيها المذهب الكلامي الأشعري والماتريدي ، نجد قضايا الكلام القديمة ومسائله التقليدية التاريخية تتردد في المناهج الدراسية والأبحاث العلمية ـ وتتضمن المناهج الأدلة علي وجود الله تعالى في إطارها الجدلي الفلسفي ، الحدوث أو الجواهر والأعراض ، كما تعالج قضية الأسماء والصفات في إطارها المذهبي، ويدافع الأشاعرة حتى يومنا هذا عن نظرية الكسب الأشعري رغم ما تتضمنه من صعوبات وتعقيدات ، كما يدافع الماتريدية عن صفة كما نجد تأكيداً علي التقارب بين الماتريدية والأشاعرة . أما الأبحاث العلمية والمؤلفات الأكاديمية، فبالإضافة إلى تناول قضايا العقيدة وأسسها، وابراز ودراسة المعتزلة وأعلامهم، كحركة مؤثرة أو مناوئه لأهل السنة (الماتريدية أما في الدوائر التي يسود فيها المنهج السلفي ، فنجد وأسلاف المدرسة كابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، إذ تدرس أنواع التوحيد ونواقضه، وأنواع الشرك والنفاق والكفر والابتداع في العقائد والعبادات . كما تركز المناهج على قضية الأسماء والصفات ، ولا سيما ابن تيمية وابن القيم، في تقرير تلك وخارج إطار هذين المنهجين ـ هناك دعوة تنادى بأن دراسة العقيدة في هذا العصر، فدعا بعض الدارسين إلى صياغة جديدة لعلم الكلام، كشرط أساسي لأي نهضة فكرية للأمة، في نفوس المسلمين ولعل جذور هذه الدعوة تعود إلى حركة الإصلاح التي قادها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وامتدت آثارها إلى وأثرت في حركة الأحياء الحديثة التي قادها جمال الدين الأفغاني) ١٢٥٤/١٣١٥هـ)، والشيخ محمد عبده (ت: ١٩٠٥م) ومن تتلمذ عليهما كالشيخ محمد رشيد رضا (ت: ١٩٣٥م)، وما انبثق من تلك الحركة ،منجماعات إسلامية تدعو ـ على اختلاف فيما بينها ـ إلى إحياء الإسلام، وتطهير المجتمعات الإسلامية من الشيخ محمد عبده

Summarized by © lakhasly.com